

## جذور التاريخ. ١١

في ربيع سنة (١٩٧٠) وبالتحديد في شهر مارس وأبريل ومايو من تلك السنة بدأ أن الحركة المتدفقة على كل الطرق ومن مختلف الاتجاهات أصبحت تؤدي إلى موضع بالذات أو إلى مهمة وهو موضوع لم يعد ممكناً أن ينتظر أو يؤجل وهو موضوع العملية العسكرية الكبرى التي تستهدف العبور بالدرجة الأولى.. أي تنفيذ خطة إزالة آثار العدوان.. أو البدء في تنفيذ خطة آثار العدوان مع العلم أن هذه المهمة سوف تأخذ وقتاً كبيراً لأن هذه معركة ليست سهلة في ظروفها.. لكن كان هناك إحساس أنه هنا ومن كل هذه الحركة المتدفقة ومن كل هذه الاتجاهات هناك موعد ومهمة ومكان لا بد من لقاء عنده ولا بد من حركة عنده.. وهي ليست حرب الاستنزاف لكن نقلة أخرى في الحرب نحو بداية تحرير الأرض.

وكان هناك تصور عند العرب والعالم ساد طويلاً هو أن العرب يستطيعون تحمل هزائم لأنهم ثابتون في الأرض ولأن جذورهم ممتدة ضاربة في أعماق التاريخ ولأنهم في أرضهم وفي أوطانهم فالتاريخ معهم والثقافة معهم والحضارة معهم والموقع ملكهم وعددهم كبير جداً.. حيث كان بإسرائيل من ٣ ملايين إلى ٣ ملايين ونصف المليون مهاجر والعرب من ١٨٠ إلى ٢٠٠ مليون عربي.

وأظن أن صانع القرار المصري كان يدرك أننا أمام تحد في ميدان القتال لا نستطيع أن نخسره.. وأنا أتذكر المنطق الذي كان يقوله (جمال عبد الناصر) بعد ما خسرنه من سنة (٦٧) والطريقة التي خسرنه بها.. نحن لا نستطيع الآن ولا نملك أن نضيع هذه الفرصة في المرات القادمة وهذه الفرصة القادمة لا بد أن ننجح فيها ولا يمكن أن تحتمل فكرة أى فشل فيها.. لأنه ببساطة بعد (٦٧) هناك جرح غائر وبعد (٦٧) هناك جهد ضخم جداً بذله الشعب المصري.. الشيء الآخر أن الذي يسيطر أننا لا نتوقع تغيير الموقف الدولي.

وفي ذلك الوقت كنت أحاول أن أعرض ما الطرق التي كانت الحركة تجرى عليها.. وقد بدا أن الاستعداد العسكري قد وصل إلى درجة اعتبرت كافية وزيادة.. طبقاً للتقرير الذي كتبه الفريق محمد فوزى في ذلك الوقت.. وقال فيه إن قواتنا المسلحة جاهزة للعمليات وعلى خط القتال وتقف هناك خمس فرق مشاه ٣ فرق ميكانيكية وفرقتان مدرعتان و٣ لواءات مدرعة مستقلة و٣ كتائب استطلاع برى ولواء إنزال بحرى.

لم تكن المهمة في ذلك الوقت فهم نظرية الأمن الإسرائيلي لأنه إذا تم كسر نظرية الأمن الإسرائيلي فقد تم فتح الطريق بلا حدود.. لأن نظرية الأمن الإسرائيلي تعنى ما هو أكثر بكثير من نظرية القتال.

وفي ذلك الوقت نظرية الأمن الإسرائيلي قادرة على الردع وبقسوة منذ الوهلة الأولى.. وهنا قال الفريق فوزى إن أول ما يبدو على أول موعد على الطرق المؤدية إلى هذا اللقاء وهذه المهمة على هذا الطريق هي القوة المسلحة وهنا قالت القوات المسلحة إنها قادرة على تنفيذ الخطة الموجودة في ذلك الوقت وهي خطة في منتهى البساطة وتحدثت عنها في ذلك الوقت وهي جرانيت (١) وهناك جرانيت (٢) وجرانيت (٣) ولكن هذه الخطط كانت خارج الحساب في ذلك الوقت.

كانت قواتنا المسلحة المصرية تحتاج باستمرار إلى قاذفة مقاتلة ولم يكن لدينا وقال لنا الاتحاد السوفييتي إنه ليس لديه قاذفات تؤدي ما نريده.. ولديهم قاذفات ثقيلة مجهزة للردع النووي والحرب النووية وهذه لا تصلح لهذه المهام التي نريدها.. وكان هناك اعتقاد في القوات المسلحة أنها ليس بها قاذفة وظهرت فرصة هائلة مع الثورة الليبية وحاول كل الناس استرضاءها فحاول الأمريكيان أن يجددوا مع الليبيين قاعدة ويليس ويلوحوا لهم بأنه من الممكن أن يبيعوا لهم طائرات فانتوم وفي ذلك الوقت حاولت فرنسا الاقتراب.. وأنها من الممكن أن تبيع لهم طائرات من طراز ميراج وكل الأطراف الأوروبية والغربية كانت تعرف الحركات المسماة ثورية في العالم العربي بها ضباط وقضية السلاح.

وفي ذلك الوقت طلب مني أن أقابل العقيد (القذافي) خاصة وأنا في ذلك الوقت الوحيد الذي أعرف (القذافي) من المجموعة القريبة من (جمال عبد الناصر) وبالفعل ذهبت له ومعى جواب من (عبد الناصر) رسالة مكتوبة.. وقابلت العقيد (القذافي) وأعضاء من مكتب قيادة الثورة وقلت لهم: لدى رسالة من الرئيس ومقتضاها أن الأمريكيان لن يعطوكم طائرة فانتوم والروس لديهم طائرة ميغ المعدلة M.S وأي صفقة ستقومون بها مع الروس ستكون صفقة مكررة.. وطلبنا منهم شراء الطائرة ميراج التي بها كل المواصفات وقلت لهم إنه مجال للشطارة وأن الأمريكيان سيعرفون بالصفقة وأن الحلفاء سيتبادلون المعلومات.

ولكن هناك منطقة معينة لمنافسة أمريكية فرنسية سواء على المنطقة أو على بيع السلاح أو بالنفوذ السياسى أو بالبحر الأبيض هناك مساحة نزاع نستطيع استغلالها وبالتالي إذا استطعتم شراء الميراج فاعقدوا صفقة بها ونحن طلبنا أن يحاولوا شراء ما بين ٥٠ و ١٠٠ طائرة ميراج.. وهم سيدفعون النقود.. ونحن جاهزون للمساعدة على عقد الصفقة وتدريب الليبيين مع مصريين بجوازات ليبية وتسير الصفقة.. وعلى ما بدا لي فإن الرسالة توافقت مع الليبيين في ذلك الوقت.

والليبيون استطاعوا أن يعقدوا صفقة ١٠٠ طائرة ميراج وخمسة طائرات تدريب.. وفي ذلك الوقت الذي كنت أتحدث فيه عن الطريق لمقاربة موعدها ومهمتها أصبح موجودا نحو ما بين ٣٨ و ٤٠ طائرة ميراج.. وأقول إن الفرنسيين لم يضعوا آخر ما هو موجود في هذه الطائرات لكن هذه الطائرات كانت كافية للمهمة.. وهذا هو الطريق الثانى..

أما الشيء الثالث فهو أمر موجود أمام صانع القرار المصرى هو رفع درجة الصراع بيننا وبين إسرائيل في لحظة القتال من المستوى المحلى "جبهة مصرية واحدة" .. إلى مستوى معركة عربية إسرائيلية ثم إلى مستوى توتر دولى خطير تتحرك في ظله موازين أكبر من الصراع العربى الإسرائيلى.

لكننا كنا نريد لحظة القتال أن يكون فيها تأهب دولى على الأقل وألا تكون المسائل متروكة في ذلك الوقت من المعركة لموازن محلية على الأرض في هذا الشريط وراء قناة السويس وهذا الشريط المقسم إلى ١٥ كيلو على كل جبهة والذي ستدور فيه المعركة سوف يؤثر في مصائر العالم.

أما الطريق الرابع فهو وجود سوفيتى كثيف مع أسلحة سوفيتية كثيرة حتى مع دخول أسلحة فرنسية بدا أن الوضع في الأقليم يهدد بخطر.. والطريق الرابع هنا هو أن السوفييت وعندهم أناس وضحايا في مصر بدأوا بتعبئة الرأى العام للاتحاد السوفيتى فىأتى جنرال سوفيتى ويقراً رسالة يقول إن الرئيس برجينف يود إخطارك أنه في هذه اللحظة بدأ تعبئة كاملة في المصانع والجامعات والنقابات والجيش وكل مكان للوقوف معنا.. وهنا الطريق الخامس من خطة جرانيت وهو الوجود السوفيتى في البحر الأبيض بدأ يزيد خاصة عند مخارج البحر الأسود.

الشيء السادس قلق الرئيس (نيكسون) نفسه وفي ذلك الوقت أجد معاداة بينه وبين رابين.. ورابين في ذلك الوقت كان سفير إسرائيل في واشنطن وكانوا يضغطون ويريدون ردا من الأمريكان عما يحدث ويعطونهم سلاحا. وأجد (نيكسون) جالساً يشرح للسفير الإسرائيلى في واشنطن وهو الجنرال رابين وقال له لا تعتقد أن المسألة مسألة بتروى بالنسبة للعرب.. أنا في كل مرة تضربون فيها العرب أكون سعيدا وعند التهديد أيضاً أكون راضياً.. ويقول رابين في الوثيقة والتي كتبها في مذكراته بعد ذلك إن هذه الصواريخ لم نتوصل للدفاع ضدها وتحتاج للدفاع عنها والولايات المتحدة لم تتوصل بعد لصاروخ مضاد.

والطريق السابع من جرانيت العبور وهو عنصر مهم فقد أدرك (عبد الناصر) في اجتماع قمة عقد في طرابلس لدول المواجهه في ذلك الوقت أواخر يونيو سنة (٧٠) أنه سيخوض المعركة بمفرده.. وكان (عبد الناصر) حريصا وخرج من طرابلس وتعليماته

تنفيذ جرائيت (١) فقط وليس جرائيت (٢) والوصول للمضايق وليس جرائيت (٣) وهى الوصول للحدود ولم ترسم بعد وكانت في إطار التخطيط.

وهنا كان (عبد الناصر) محمداً لهدف معركته وما الذي يمكن أن يترتب عليها وأنه مستعد لمخاطرة البدء.. ومعتقداً أنه عندما يبدأ ويتم العبور سوف يحرك آخرين وبالأمل جماهير عربية بلا حدود وهذا كان الطريق السابع الذي كان يسير إليه كل طرق الحركة.

ووقع (عبد الناصر) خطتين والتي بها جرائيت (١) عبور بحماية حائط صواريخ ووقع أيضاً خطة في منتهى الأهمية وهى خطة (٢٠٠) ولها قصة وبداية ففى يوم من الأيام وأواخر سنة (٦٧) كتبت مقالة عن شخص في القوات المسلحة.. لم أذكر اسمه وهو كان موجوداً في أحد أهم فروع القوات المسلحة يطلب مقابلتي في مكتبي في الأهرام.. ولا أريد أن أذكر اسمه.. وقال لى إنه لم يعد ممكناً أن تُفاجأ مرة أخرى وأريد أن أقول لك بأمانة المسئولية وأريدك أن تتقل هذا لـ(عبد الناصر).. وأن المفاجأة ما زالت ممكنة وأنا موجود وأعرف بحرب الصواريخ ونتصور أننا لا نستطيع أن نفاجئ وقال إن الإسرائيليين من الممكن أن يقوموا بعبور مضاد من الشرق إلى الغرب لدينا لتدمير حائط الصواريخ عند بنائه.

واستمعت للضابط جيداً وقدرته وقدرته اهتمامه.. وبعدها بثلاثة أيام التقيت (عبد الناصر) وقلت له ما حدث وذكرت اسم الضابط ورتبته.. فقال لى (عبد الناصر) إنهم يجهزون أيضاً خطة العبور المضاد لمنع الإسرائيليين من غلق الجسور.. فقال لى احضر لى هذا الضابط.. وكان (عبد الناصر) حريصاً على مقابلة الناس من خارج المحيط.. وقد سجلت هذه المقابلة ومعنى محضر الجلسة بخط (سامى شرف) والمحضر مكتوب فيه اجتماع بين (عبد الناصر) وضابط كبير.

والرئيس قال: أهلاً وسهلاً.. (هيكل) قال لى إنك قابلته مقابلة طويلة ووجدت فرصة أسمع منك مباشرة.. وقال الضابط إنه يشكرنى على إتاحة فرصة لمقابلتك وأن هناك حقائق لا أعرف إذا كانت وصلت لحضرتك أم لا.. وبدا هذا الضابط يتحدث وكأنه يتحدث عن الثغرة.. وقال إنه يعرف استعداد القوات المسلحة لاحتمال عبور إسرائيلى مضاد لكننى أخشى أن الإسرائيليين أمامهم فرصة للقيام بما هو أكثر وأرجو يا سيادة الرئيس التنبه لها.. لأن الإسرائيليين من الممكن أن يعبروا بدبابات لا يكون

هدفها منع القوات من التدفق على الكبارى ولكن لتكون ثغرة دخول وتطويق مواقع الصواريخ وتدميرها وهو الغطاء الذي يحمى القوات للتقدم.. ويحكى الضابط مخاوفه (عبد الناصر) يسمعه.. وقال الضابط إنهم من الممكن أن يفكروا في "تقشير" حائط الصواريخ لحرمان القوات حتى إذا تمكنت وتمركزت هناك من حائط الصواريخ التي وراءها.. وقد تم وضع الخطة ٢٠٠ لمواجهة هذا الاحتمال والذي قد تحقق في حرب أكتوبر.. فالتاريخ مرات والوقائع مرات عندما تضيع الذاكرة تضيع معها أشياء كثيرة جداً.. وخطة ٢٠٠ هي الطريق الثامن لصد العبور المضاد وحماية الصواريخ من تدميرها.

